أبو الطيّب المتنبي (٣٠٣هـ - ٣٥٤هـ)

هو أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي أبو الطيب الكندي الكوفي المولد نسب إلى قبيلة كندة مسقط رأسه لولادته، ولد (٣٠٣هـ)، عاش أفضل أيام حياته وأكثرها عطاء في بلاط سيف الدولة الحمداني في حلب، وكان من أعظم شعراء العرب، وأكثرهم تمكنًا من اللغة العربية وأعلمهم بقواعدها ومفرداتها، ولهُ مكانة سامية لم تُتح مثلها لغيره من شعراء العرب .

فيوصف بأنَّهُ نادرة زمانه، وأعجوبة عصره، وظل شعره إلى اليوم مصدر إلهام ووحي للشعراءِ والأدباءِ . وهو شاعر حكيم، وأحد مفاخر الأدب العربي، إذ تدور معظم قصائده حول مدح الملوك، ولقد قال الشعر صبيًا، فنظم أول أشعاره وعمره تسع سنوات، واشتُهِرَ بحدَّة الذكاء واجتهاده، وظهرت موهبته الشعرية مبكرًا .

والمتنبي لم يدع النبوة ولكن الناس خلعوا عليه هذا اللقب وجاءَ اللقب من خصومهِ وحاسديهِ وبقي مشتهرًا بهِ، وقد نفى عن نفسهِ تهمة النبوة ولم يرضَ بها، وأمّا من ذهبَ إلى أنَّهُ من (النبوة والنباوة) أي المرتفع، فلعلَّ فيهِ شيئًا من الصحة، إذ كان معجبًا بشجاعتهِ وأدبه وآرائه التي دفعته إلى الثورة وألقتهُ في السجن .

شعر المتنبي كان صورة صادقة لعصره وحياته، فهو يحدّثُك عمّا كان في عصرهِ من ثوراتٍ واضطراباتٍ، ويدلك على ما كان بهِ من مذاهبٍ وآراءٍ، ونضج العلم والفلسفة، كما يمثلُ شعرهُ حياته المضطربة: فذكر فيهِ طموحه وعلمه، وعقله وشجاعته، وسخطه ورضاه، وحرصه على المال، كما تجلَّت القوّة في معانيهِ وأخيلتهِ، وألفاظهِ وعباراتهِ، وقد تميَّز خياله بالقوّةِ والخصابةِ، فكانت ألفاظهُ جزلة، وعباراتهُ رصينة تُلائم قوّة روحه، وقوّة معانيه، وخصب أخيلته، وهو ينطلق في عباراتهِ انطلاقًا ولا يُعنى فيها كثيرًا بالمحسناتِ والصناعةِ .

ويقول الشاعر العراقي فالح الحجية في كتابهِ في الأدب والفن: أنَّ المتنبي يعد وبحق شاعر العرب الأكبر عبر العصور، وقصائده في سيف الدولة تبلغ ثلث شعره أو أكثر، وقد استكبر عن مدح كثير من الولاة والقادة حتى في حداثتهِ، ومن قصائده في مدح سيف الدولة:

و كان مطلع القصيدة:

عَـلَى قَـدرِ أَهـلِ العَـزمِ تَـأتِي العَـزائِمُ وتَـأتِي عَـلَى قَـدرِ الكِـرامِ المَكـارِمِ

وتَعظُـم فـي عَيـنِ الصّغِـيرِ صِـغارُها وتَصغُـر فـي عَيـنِ العَظِيـمِ العَظـائِمُ

الأغراض الشعرية (الوصف والهجاء والحكمة)

١- الوصف

أجادَ المتنبي وصف المعارك والحروب البارزة التي دارت في عصرهِ وخاصّةً في حضرة وبلاط سيف الدولة، فكان شعرهُ يعد سجلاً تاريخيًا، كما أنَّهُ وصف الطبيعة وأخلاق الناس ونوازعهم النفسية، وصوَّرَ نفسه وطموحه، وقد قال يصف شِعب بوَّان، وهو منتزه بالقرب من شيراز: (حـــفـــظ)

مَغَـاني الشِّـعْبِ طِيبـاً فـي المَغَـاني بمَنْزِلَـــةِ الرّبيـــع مـــنَ الزّمَـــانِ

وَلَكِـــنّ الفَتـــى العَرَبـــيّ فِيهَـــا غَرِيـــبُ الوَجْـــهِ وَاليَـــدِ وَاللّسَـــانِ

مَلاعِـــبُ جِنّـــةٍ لَـــوْ سَـــارَ فِيهَـــا سُـــلَيْمَانٌ لَسَـــارَ بتَرْجُمَـــانِ

طَبَـــتْ فُرْسَـــانَنَا وَالخَيـــلَ حتـــى خَشِـــيتُ وَإِنْ كَـــرُمنَ مـــن الحِـــرَانِ

غَـــدَوْنَا تَـــنْفُضُ الأغْصَـــانُ فيهَـــا علـــى أعْرَافِهَـــا مِثْـــلَ الجُمَـــانِ

٢- الهجاء

لم يكثر الشاعر من الهجاء، وكان في هجائِهِ يأتي بحكمٍ يجعلها قواعد عامة تخضعُ لمبدأ أو خلق، وكثيرًا ما يلجأ إلى التهكم أو استعمال ألقاب تحملُ في موسيقاها معناها، وتشيع حولها جو السخرية بمجرد اللفظ

بها، كما أنَّ السخطَ يدفعه إلى الهجاء اللاذع في بعض الأحيان، وقال يهجو طائفة من الشعراء الذين كانوا ينفون عليه مكانته:

أفــي كــل يــوم تحــت ضِــبني شُــوَيْعر ضــــعيف يقــــاويني، قصـــير يطـــاول

٣- الحكمة

اشتهر المتنبي بالحكمة وذهب كثير من أقوالِهِ مجرى الأمثال؛ لأنَّهُ يتصل بالنفسِ الإنسانية، ويردد نوازعها وآلامها، ومن حكمهِ ونظراتهِ في الحياةِ:

إذا غـــامَرْتَ فـــي شَـــرَفٍ مَـــرُومِ فَـــلا تَقنَـــعْ بمـــا دونَ النّجـــومِ

فطَعْـــمُ المَـــوْتِ فـــي أمْـــرٍ حَقِيـــرٍ كطَعْـــمِ المَـــوْتِ فـــي أمْـــرٍ عَظـــيمِ

يـــرَى الجُبَنـــاءُ أنّ العَجـــزَ عَقْـــلٌ وتِلـــكَ خَديعَـــةُ الطّبـــعِ اللّئـــيمِ

وكـــمْ مـــن عائـــبٍ قـــوْلاً صَـــحيحًا وآفَتُـــهُ مِـــنَ الفَهْـــمِ السّـــقيمِ

ولكِـــنْ تأخُـــذُ الآذانُ مِنْـــهُ علـــى قَـــدَرِ القَـــرائحِ والعُلُـــومِ

مقتله:

كان المتنبي قد هجا ضبّة بن يزيد الأسدي العيني بقصيدة شديدة الهجاء، فلما كان المتنبي عائدًا إلى الكوفة، وكان في جماعة منهم: ابنه محمد وغلامه مفلح، لقيه فاتك بن أبي جهل الأسدي، وهو خال ضبّة بن يزيد العوني الذي هجاه المتنبي، وكان في جماعة أيضًا، فتقاتل الفريقان وقُتل المتنبي وابنه محمد وغلامه مفلح بالنعمانية بالقرب من دير العاقول جنوب غرب بغداد.

وقصة قتله أنه لما ظفر به فاتك أراد الهرب فقال له غلامه: أتهرب وأنت القائل:

الخيل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم

فرد عليه بقوله: قتلتني قتلك الله .

التعليق النقدي ومعاني المفردات لقصيدة (وصف شِعب بوَّان) (حـــــفـــــظ)

المغاني: البيوت .

الشعب: الوادي، والمعنى العام أنَّ بيوت هذا الوادي تفضل جميع البيوت كما يفضل الربيع سائر الفصول .

الفتى العربي: يقصد الشاعر نفسه .

غريب الوجه: لا يعرفه أحد .

الجنة: من الجن حيث جعل الشعب لطيبه وطرب أهله ملاعب وجعل أهله كالجن لشجاعتهم في الحرب .

أعراف: جمع عرف وهو شعر عنق الفرس .

الجُمان: خرز من الفضة تشبه اللؤلؤ .

التعليق النقدي:

القصيدة من وزن البحر الوافر وهو وزنٌ يتفق مع موضوعات الفرح والبهجة ووصف المشاهد الجميلة . وتكاد هذه الأبيات تبدو غريبة على منهج المتنبي؛ لأنَّهُ قلَّما يلجأ إلى أوصاف الطبيعة في خلال الأدب الجاد الذي وسم شعره، ولكن هذا المسلك الجديد لم يغير من تفوّق المتنبي، فَسَلكت قصيدته هذه في جملة روائعه الشعرية المشهورة .

قال الشاعر هذه الأبيات يصف شعب بوان وجمال طبيعته وهو في طريقهِ إلى عضد الدولة في بلاد فارس قادمًا من العراق، وقد شدَّه سحر المكان فجعله أفضل المنازل، وحين بَدا غريب الوجه واللسان عن أهلهِ جعل لغة الطبيعة الساحرة ترجمانه ووسيلته في عشق المكان وملاعبه، وكما ساغ له المكان فقد ساغ لأفراسهم وخيولهم فتشبثت بهِ وامتنعت عن مواصلة السير. اقتنص الشاعر من محاور الجمال في هذا الوادي صورًا شائعة وصفها ضمن إطار الرحلة بحذقٍ وبراعةٍ، فالشجر الظليل ينفض أزهاره على أعراف الخيل ويدفع الحر عن ركبهم بحيث لا يسمح من الضياء إلّا بما يكفي لتمييز الطريق وتسلل خيوط الشمس

في خلالِ الأغصان المتحركة لتلقى على ثيابهِ أقراصًا صغيرة كدنانير الذهب لا تلبث أنْ تفرَّ عجلى بين الظلال . أمّا الثمر فَشَهي رائق يكاد يقطر ماؤه لشفافيته ورقَّة قشره، وأمّا الماء فيصوت خريره وحصاه كما تصوت الحلى في أيدي النساء الجميلات ويتذكر هذه المناظر الساحرة بلاد الشام التي عاشها وأحبها ولكنَّهُ افتقد مع الذكرى الكرم العربي وجفاء الطعام التي عرفها هناك، وأمّا خيال الشام فما زال معه يشيعه إلى النوبندجان في بلاد الفرس .

بدأ الشعر في هذه الأبيات ـ كعادته ـ رائعًا في الصياغة الشعرية وجودة السبك والمقدرة المجلية على إجراء العمود الشعري والملاءمة بين المعاني والألفاظ وأحكام المزج بين التصنيع العقلي والبلاغي، أحسن الشاعر في إيراد جملة من التشبيهات والاستعارات وفنون البيان الأخرى في هذه القصيدة .

مميزات شعره:

١- تصرفه البارع وتمكنه من استعمال المفردات واشتقاقها ووضعها في عباراتها .

٢- تفضيله المعاني على الألفاظ فهو من أنصار المعنى على اللفظ .

٣- التماع الحكمة والمثل في القصيدة وهما بمثابة أحجار مرصوفة لم تخل منها .

٤- التماسك الدقيق في قصائدهِ وتسلسل الأفكار وتناسقها وتأييدها بالحجج المنطقية والبراهين العقلية .

٥- يميل أحيانا إلى التعقيد واستعمال الألفاظ الغريبة والتصرف في اللغة واستعمال مصطلحات الفلسفة والمنطق وصياغتها بأسلوبهِ الخاص واللعب بالألفاظ .

٦- موسيقى شعره كانت رائعة وقد جاء ذلك من اختياره الجيد للأوزان والقوافي وملائمتها للألفاظ والمعاني.

٧- استعمال بعض الألوان البديعية في شعرهِ .